



نمُو عقلية
إسلامية واقعية

٢٣

الْعِلْمَانِيَّةُ

بَيْتَ

الْغَرْبِ وَالْإِسْلَامِ

الدكتور محمد عمارة



العَلَمَانِيَّةُ
بَيْنَ
الْمَغْرِبِ وَالْمُؤَسَّسَاتِ

جميع حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

مركز الدعوة للنشر والتوزيع - الكويت

ص. ب. : ٦٦٥٢٠ - بيان - ت. : ٢٦١٥٠٤٥
الرمز البريدي 43756



مركز الوقاير للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة - مصر

الإدارة والطباعة : المنصورة - مصر
البريد : ٢٥١٧٧٦ / ٥٠٧٧٦٠ / ٢٥١٧٧٦
الهاتف : ٠١٠٢٢٢٢٢٢ - ٠١٠٢٢٢٢٢٢



الحكمة المانيّة بَيْت الْغَرْبِ وَالْإِسْلَامِ

الدكتور محمد عمارة



المصطلح .. وملابسات النشأة

مصطلح « العلمانية » هو الترجمة التي شاعت - بمصر والمشرق العربي - للكلمة الإنجليزية SECULARISM بمعنى الدنيوي ، والعالمى ، والواقعى - من الدنيا والعالم والواقع - المقابل « للمقدس » أى الدينى الكهنوتى ، النائب عن السماء ، والمحنكر لسلطانها ، والمالك لمقاتيلها ، والخارق للطبيعة وسنتها والذى قدس الدنيا قداسة الدين ، وثبت متغيراتها - العلمية والقانونية والاجتماعية - ثبات الدين . (١)

ولأن هذا هو معنى المصطلح ، فى نشأته وملابساته الأوربية - النزعة الدنيوية ، والمذهب الواقعى فى تدبير العالم من داخله وليس بشريعة من ورائه - فلقد كان قياس المصطلح هو « العالمية » أو « العلمانية » ، لكن صورته غير القياسية - « العلمانية » - هى التى قدّر لها الشروع والانتشار .

والعلمانية كنزعة فى تدبير العالم ، وكمذهب فى المرجعية الدنيوية لشؤون العمران الإنسانى ، لا يمكن فهمها - ومن ثم فهم الموقف الإسلامى منها - بمعزل عن الملابس الأوربية ؛ لنشأتها فى إطار الحضارة الغربية المسيحية ، بجذورها الإغريقية الفلسفية ، وراثتها الرومانى القانى ، والإضافة المسيحية لهذه الأصول وذلك التراث .

وإذا كان التفصيل فى هذه القضايا هو مما يخرج هذه الدراسة عن أفاقها ومقاصدها ، فإننا نكتفى بالإشارة إلى بعض القضايا على شىء

(١) انظر : (معجم العلوم الاجتماعية) ، وضع مجمع اللغة العربية ، القاهرة ١٩٧٥ م ، و (قاموس علم الاجتماع) ، إشراف / عاطف غيث ، طبعة القاهرة ١٩٧٠ م ، و (معجم اللفظ) (العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق) من ٧ ، ٨ ، طبعة القاهرة ١٩٧٦ م .

« لقد ظلت المسيحية ، منذ نشأتها وعبر قرون طويلة من حياتها في المجتمعات الأوروبية : دينا لا دولة ، وشريعة محبة لا تقدم للمجتمع مرجعية قانونية ولا نظاما للحكم ، ورسالة مكرمة خلاص الروح ، تدع ما ليقصر ليقصر وما لله لله ، وظلت رسالة كنيستها خاصة بملكية السماء ، لا شأن لها بسلطان الأرض ، وقوانين تنظيم الاجتماع البشري ، في السياسة والاجتماع والاقتصاد ، وعلومها ومعارفها .

وعبر هذه القرون ، حكمت العلاقة بين الكنيسة والدولة - أي الدين والمجتمع - نظرية « السيفين » Theory Of the Two Swords - أي السيف الروحي - أو السلطة الدينية للكنيسة - والسيف الزماني - أو السلطة المدنية للدولة - .

فلما حدثت وتجاوزت الكنيسة حدود رسالة الروح وملكية السماء فانغصبت السلطة الزمنية أيضا ، أضفت على الدنيا قداسة الدين ، وثبتت متغيرات الاجتماع الإنساني ثبات الدين ، فدخلت بالمجتمعات الأوروبية مرحلة الجمود والانحطاط ، وعصورها المظلمة . . وسادت في تلك الحقبة نظرية « السيف الواحد » Theory Of One SWOR - أي السلطة الجامعة بين الدين والدني سواء تولاها « البابوات - الأباطرة » أو الملوك الذين يوليهم ويباركهم البابوات - وعرف هذا النظام ، في التاريخ الأوربي ، بنظرية الحق الإلهي للملوك Divine Right of the kings (١) .

« وفي مواجهة هذا النظام ، وواقع الانحطاط الحضاري الذي أثمرته تطبيقاته - التي قدست الدولة وحكامها . . وجعلت الدنيا ومجتمعاتها

(١) انظر : (موسوعة العلوم السياسية) المجلد الأول ، مادة « حق الحكم الإلهي » طبعة

وعلموها - كانت « الثورة العلمانية » التي فجرتها فلسفة التنوير الأوربي ،
والتي أقامت قطيعة معرفية مع فلسفة الحكم الكهنوتي ، وأمسّت التركة
العلمانية الحديثة على التراث الأوربي القديم وعلى عقلانية التنوير
الأوربي الحديث ، التي أحلت « العقل » و « التجربة » محل « الدين »
و « اللاهوت » .

لقد أعادت « الثورة العلمانية » الكنيسة إلى حدودها الأولى :
خلاص الروح ، ومملكة السماء ، وجعل ما لقيصر لقيصر من دون الله :
وجعل « العقل » و « التجربة » ، دون « الدين » واللاهوت ، المرجع في
تدبير شؤون العمران الإنساني ، أي عزل « السماء » عن « الأرض » ،
انطلاقاً من فلسفة أن العالم مكتفٍ بذاته ، تدبره الأسياب المخلوقة في
ظواهره وقواه وطبيعته ، دونما حاجة إلى رعاية إلهية أو تدبير شرعي نازل
مما وراء الطبيعة والعالم .. فالعلمانية ، هي : جعل المرجعية في تدبير العالم
إنسانية خالصة ، ومن داخل العالم ، دونما تدخل من شريعة سماوية هي
وحي من الله المفارق لهذا العالم ..

ولقد عرفت العلمانية الأوربية - غير التيار المادي الملحد - تياراً مؤمناً
بالله ، استطاع فلاسفته - من أمثال هوبز [1688 - 1679 م]
ولوك [1632 - 1704 م] وليبيتر [1646 - 1716 م]
وروسو [1712 - 1778 م] وليستنج [1733 - 1804 م]
[1729 - 1804 م] - التوفيق بين الإيمان بوجود إله خالق للعالم وبين
العلمانية التي ترى العالم مكتفياً بذاته ، فتتخلى عن تدبير الاجتماع البشري
في سلطة البشر المتحررة من شريعة الله .. وكان هذا التوفيق مؤسساً
على التصور الأرسطي لنطاق عمل الذات الإلهية ، فالله ، في التصور
الأرسطي ، واحد ، مفارق للعالم ، وخالق له .. لكنه قد أودع في
العالم والطبيعة الأسباب التي تدبرهما تدبيراً ذاتياً ، دونما حاجة إلى تدخل

إلهي ، أو رعاية إلهية فيما بعد مرحلة الخلق ، فالحركة توجد في الشيء بذاته ولذاته ، لا من حيث أن شيئا خارجيا هو الذي يحدث فيه هذه الحركة ، و « عناية الله موقوفة على ذاته ، ولا تدخل له في الأحداث الجزئية في العالم والطبيعة » (١) . . . فالعالم مكتف بذاته ، تدبره الأسباب المودعة فيه وهو وحده مصدر المعرفة الحقة - القابلة للمبرهنة والتعديل ، وتدبير الدنيا مرجعته الإنسان - بالعقل والتجربة - دون رعاية أو تدبير أو تدخل من السماء - هكذا استندت العلمانية ، في تأسيس « دنيويتها » ، على التصور الأرسطي لنطاق عمل الذات الإلهية - فهو مصدر خالق ، فرغ من الخلق ، وانحصرت عنايته بذاته ، دونما رعاية أو تدبير للمخلوقات - كصانع الساعة ، الذي أودع فيها أسباب عملها ، دون حاجة لوجوده معها وهي تدور !

وساعد العلمانية على الانتصار لهذه النزعة ، التصور المسيحي لعلاقة الدين بالدولة ، فهو تصور يدع ما لقيصر لقيصر ، ويقف بالدين عند خلاص الروح وملكة السماء ، دون أن يقدم شريعة للمجتمع والدولة ، الأمر الذي جعل « سجن » الدين في الكنيسة وفي الضمير الفردي « ثورة تصحيح ديني » وليس - عدوانا على الدين ، وساعدها على ذلك أيضا أن التراث الروماني ، في فلسفة التشريع والتفنين ، قد جعل « المنفعة » ، غير المضبوطة بالدين وأخلاقه وشريعته السماوية ، هي المعيار . فكان الطريق إلى القانون الوضعي مفتوحا أمام العلمانية ، يركبه هذا التراث .

هكذا نشأت العلمانية ، في سياق التنوير الوضعي الغربي ، لتمثل عزلا للسماء عن الأرض ، وتغرياً للاجتماع البشري من ضوابط وحدود الشريعة الإلهية ، وحصرها لمرجعية تدبير العالم في الإنسان ، باعتباره

(١) د . عبد الرحمن بدوي (موسوعة الفلسفة) ، مادة أرسطو طاليس ، ص ١ - ٦ - ١٠ ، طبعة بيروت ١٩٨٤ م .

« السيد » في تدبير عالمه ودنياء ، فهي ثمرة من ثمرات عقلانية التنوير
الوضعي ، الذي أحل العقل والتجربة محل الله والدين ، وهي قد
أقامت مع الدين - في تدبير العالم - قطيعة معرفية - وبعبارة واحد من
دعاة التنوير العربي : - « فلم يعد الإنسان يخضع إلا لعقله ، في
أبيولوجيا التنوير ، التي أقامت القطيعة الأبنيمولوجية - (المعرفية) -
الكبرى التي تفصل بين عصرين من الروح البشرية : عصر الخلاصة
اللاهوتية للقديس ثوما الأكويني ، وعصر الموسوعة لفلاسفة التنوير ..
فراح الأمل بملكة الله ينزاح لكي يخلو المكان لتقدم عصر العقل
وهيمته .. وراح نظام النعمة الإلهية يتمحى ويتلاشى أمام نظام الطبيعة ..
وأصبح حكم الله خاضعا لحكم الوعي البشري ، الذي يطلق الحكم الأخير
باسم الحرية » (١) .

إنها عزل السماء عن الأرض والدين عن الدنيا ، وإحلال الإنسان -
في تدبير العمران البشري - محل الله .

(١) أميل بولا (الحرية ، العقلنة : حرب شطرى فرنسا ومبدأ الخلافة) منشورات مبروف ،
باريس ١٩٨٧ م . والنقل عن حاشم صالح ، مجلة « الوحدة » ، المغرب ، عدد فبراير ،
مارس ١٩٩٣ م ، ص ٢١٠ .

الموكل - إلى الشركاء والأصنام والطوائع

[illegible][illegible]

۱۰۰

۱۰۱

۱۰۲

۱۰۳

۱۰۴

۱۰۵

۱۰۶

۱۰۷

۱۰۸

۱۰۹

۱۱۰

۱۱۱

۱۱۲

۱۱۳

۱۱۴

۱۱۵

۱۱۶

۱۱۷

۱۱۸

۱۱۹

۱۲۰

۱۲۱

۱۲۲

۱۲۳

۱۲۴

۱۲۵

۱۲۶

۱۲۷

۱۲۸

۱۲۹

۱۳۰

۱۳۱

۱۳۲

۱۳۳

۱۳۴

۱۳۵

۱۳۶

۱۳۷

۱۳۸

۱۳۹

۱۴۰

۱۴۱

۱۴۲

۱۴۳

۱۴۴

۱۴۵

۱۴۶

۱۴۷

۱۴۸

۱۴۹

۱۵۰

۱۵۱

۱۵۲

۱۵۳

۱۵۴

۱۵۵

۱۵۶

۱۵۷

۱۵۸

۱۵۹

۱۶۰

۱۶۱

۱۶۲

۱۶۳

۱۶۴

۱۶۵

۱۶۶

۱۶۷

۱۶۸

۱۶۹

۱۷۰

۱۷۱

۱۷۲

۱۷۳

۱۷۴

۱۷۵

۱۷۶

۱۷۷

۱۷۸

۱۷۹

۱۸۰

۱۸۱

۱۸۲

۱۸۳

۱۸۴

۱۸۵

۱۸۶

۱۸۷

۱۸۸

۱۸۹

۱۹۰

۱۹۱

۱۹۲

۱۹۳

۱۹۴

۱۹۵

۱۹۶

۱۹۷

۱۹۸

۱۹۹

۲۰۰

۲۰۱

۲۰۲

۲۰۳

۲۰۴

۲۰۵

۲۰۶

۲۰۷

۲۰۸

۲۰۹

۲۱۰

۲۱۱

۲۱۲

۲۱۳

۲۱۴

۲۱۵

۲۱۶

۲۱۷

۲۱۸

۲۱۹

۲۲۰

۲۲۱

۲۲۲

۲۲۳

۲۲۴

۲۲۵

۲۲۶

۲۲۷

۲۲۸

۲۲۹

۲۳۰

۲۳۱

۲۳۲

۲۳۳

۲۳۴

۲۳۵

۲۳۶

۲۳۷

۲۳۸

۲۳۹

۲۴۰

۲۴۱

۲۴۲

۲۴۳

۲۴۴

۲۴۵

۲۴۶

۲۴۷

۲۴۸

۲۴۹

۲۵۰

۲۵۱

۲۵۲

۲۵۳

۲۵۴

۲۵۵

۲۵۶

۲۵۷

۲۵۸

۲۵۹

۲۶۰

۲۶۱

۲۶۲

۲۶۳

۲۶۴

۲۶۵

۲۶۶

۲۶۷

۲۶۸

۲۶۹

۲۷۰

۲۷۱

۲۷۲

۲۷۳

۲۷۴

۲۷۵

۲۷۶

۲۷۷

۲۷۸

۲۷۹

۲۸۰

۲۸۱

۲۸۲

۲۸۳

۲۸۴

۲۸۵

۲۸۶

۲۸۷

۲۸۸

۲۸۹

۲۹۰

۲۹۱

۲۹۲

۲۹۳

۲۹۴

۲۹۵

۲۹۶

۲۹۷

۲۹۸

۲۹۹

۳۰۰

۳۰۱

۳۰۲

۳۰۳

۳۰۴

۳۰۵

۳۰۶

۳۰۷

۳۰۸

۳۰۹

۳۱۰

۳۱۱

۳۱۲

۳۱۳

۳۱۴

۳۱۵

۳۱۶

۳۱۷

۳۱۸

۳۱۹

۳۲۰

۳۲۱

۳۲۲

۳۲۳

۳۲۴

۳۲۵

۳۲۶

۳۲۷

۳۲۸

۳۲۹

۳۳۰

۳۳۱

۳۳۲

۳۳۳

۳۳۴

۳۳۵

۳۳۶

۳۳۷

۳۳۸

۳۳۹

۳۴۰

۳۴۱

۳۴۲

۳۴۳

۳۴۴

۳۴۵

۳۴۶

۳۴۷

۳۴۸

۳۴۹

۳۵۰

۳۵۱

۳۵۲

۳۵۳

۳۵۴

۳۵۵

۳۵۶

۳۵۷

۳۵۸

۳۵۹

۳۶۰

۳۶۱

۳۶۲

۳۶۳

۳۶۴

۳۶۵

۳۶۶

۳۶۷

۳۶۸

۳۶۹

۳۷۰

۳۷۱

۳۷۲

۳۷۳

۳۷۴

۳۷۵

۳۷۶

۳۷۷

۳۷۸

۳۷۹

۳۸۰

۳۸۱

۳۸۲

۳۸۳

۳۸۴

۳۸۵

۳۸۶

۳۸۷

۳۸۸

۳۸۹

۳۹۰

۳۹۱

۳۹۲

۳۹۳

۳۹۴

۳۹۵

۳۹۶

۳۹۷

۳۹۸

۳۹۹

۴۰۰

۴۰۱

۴۰۲

۴۰۳

۴۰۴

۴۰۵

۴۰۶

۴۰۷

۴۰۸

۴۰۹

۴۱۰

۴۱۱

۴۱۲

۴۱۳

۴۱۴

۴۱۵

۴۱۶

۴۱۷

۴۱۸

۴۱۹

۴۲۰

۴۲۱

۴۲۲

۴۲۳

۴۲۴

۴۲۵

۴۲۶

۴۲۷

۴۲۸

۴۲۹

۴۳۰

۴۳۱

۴۳۲

۴۳۳

۴۳۴

۴۳۵

۴۳۶

۴۳۷

۴۳۸

۴۳۹

۴۴۰

۴

[illegible]

المكرية الأخرى

نقد عرف التاریخ الإنسانی :

[illegible]

مصابيح د. محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى
 الاقتصاد في المصارف
 بكافة عملي وحكمه من حيث هو
 حكمه لا يشترط فيه ولا يشترط فيه

فقد تبين لك من ذلك أن :

١ - ذلك انصحي في المصارف

٢ - ومباني في المصارف

فصلح الديوبندية ودفع المصار

٣ - وخلاصة في المصارف
 في المصارف في المصارف
 في المصارف في المصارف
 في المصارف في المصارف

في المصارف في المصارف
 في المصارف في المصارف
 في المصارف في المصارف
 في المصارف في المصارف

في المصارف في المصارف
 في المصارف في المصارف
 في المصارف في المصارف

نور الله (٢)

(١) (تقديم) من ١٥ ، ١٥١ ، طبعة القاهرة ، ٢٢

(٢) (لأقتصاد في الاعتقاد) د. محمد بن عبد الوهاب

تلك هي «العلمانية»: التوجه ، والنساء ، والملايين

وهذا كتاب «العلمانية» في كتاب «العلمانية» في

العلمانية ، حيث هو كتاب «العلمانية» في

وهذا هو كتاب «العلمانية» في كتاب «العلمانية» في

العلمانية ، حيث هو كتاب «العلمانية» في

أوفي إبداع فكرنا الإسلامي الوسيط ..

المتغريون .. العلمانيون

السياسة والدين . ١١

[illegible]
$$\begin{aligned} \Delta^{-1} &= \frac{1}{\Delta} = \frac{1}{\frac{1}{2}(\Delta_1 + \Delta_2)} = \frac{2}{\Delta_1 + \Delta_2} \\ &= \frac{2}{\frac{1}{2}(\Delta_1 + \Delta_2)} = \frac{4}{\Delta_1 + \Delta_2} \end{aligned}$$

وحضارة الرومان وما فيها من سياسية وقوة

(۲) و طه حیدر (مسکون) در ۱۱ / ۱۶ طبعه القهره به ۱۹۳۸ م

معاهدة الاستقلال - (١٩٣٦م) - ومعاهدة إلغاء الامتيازات - (١٩٣٨م) -
إلا التزاماً صريحاً قاطعاً أمام العالم المحضر بأننا سنسير سيرة الأوروبيين
في الحكم والإدارة والتشريع^(١).

إن هذا « الاعتراف » العلماني « بالالتزام » بما ألزمتنا به الغرب ، من
أن « نسير سيرة الأوروبيين في الحكم والإدارة والتشريع » .. ينقل قضية
تهنى العلمانية في بلادنا إلى مستوى آخر ، فالقضية تتجاوز أحياناً دائرة
الاختلاف في الفكر ، لتصب - بوعى أو بغير وعى - في خاتمة التفريط في
الاستقلال^{١٩}.

وإذا كان الدكتور طه حسين قد تجاوز هذا الانبهار بالغرب ، والالتزام
بما سعت أوروبا إلى إلزامنا به^(٢) .. فإن كلماته هذه تذكرنا بكلمات
موقف الشرق وفيلسوف الإسلام جمال الدين الأفغاني ، التي قال
فيها : « لقد علمتنا التجارب أن المقلدين من كل أمة ، المتشبهين أطوار
غيرها ، يكونون فيها منافذ لتطرق الأعداء إليها .. وطلّحت لجيوش الغالبين
وأرباب الغارات ، يمهّدون لهم السبيل ، ويفتحون الأبواب ، ثم يشنون
أقدامهم^{١٩} »^(٣).

فإسلامية الدولة ، وإسلامية القانون ، فضلاً عن أنهما من فرائض
الإسلام ، فإنهما من معالم الاستقلال الحضاري للأمة الإسلامية ولديار
الإسلام .

(١) (متنل الثقافة في مصر) ١ / ٣٦ - ٣٧ .

(٢) انظر : كتيلة (الإسلام والسياسة) ص ١١٨ - ١٣١ ، طبعه القاهرة ١٩٩٣م .

(٣) (الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني) ص ١٩٦ ، ١٩٧ ، دراسة وتحقيق د .
محمد عمارة ، طبعه القاهرة ١٩٦٨م .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المصطلح .. وملابسات النشأة	٥
وفود العلمانية إلينا في ركاب الغزوة الاستعمارية	١٠
الأصول الإسلامية لرفض العلمانية	١٧
المغتربون .. العلمانيون	٢٨

رقم الإبداع: ٣٤٤٦ / ١٩٩٥ م

I.N.S.B .977-15-0180-1
